ذكرى مع عبدالله بلخير

بقلم
سالم زين باحميد

عندما بلغني نبأ وفاة أستاذنا الشيخ عبدالله عمر بلخير قفزت إلى ذهني ذكريات عزيزة غالية عشتها مع أستاذنا القدير (أبي يعرب) بمدينة جدة عام ١٤١٠هـ، وعندما قرأت بالعدد ٣٤-٣٥ من (الأدب الإسلامي) عن اعتزامها إصدار ملف خاص عن الأستاذ عبدالله بلخير تقديرا لأدبه وجدتني مدفوعا لكتابة ذكرياتي عنه وإرسالها إلى (الأدب الإسلامي) لتشريفي بنشرها في الملف الخاص بالأستاذ بلخير.

كنت وأخي (أحمد زين باحميد) في زيارة للأستاذ عبدالله عمر بلخير في بيته لأشكره على رسالته الرقيقة لي بمناسبة صدور ديواني الأول (وجه الغفاري) عام ١٩٨٣م، كما قدمت له قصيدتي (الشعر فيه خالد) قصيدة كتبتها عام ١٤٠٣هـ، بمناسبة بلوغه السبعين، ولم أتمكن من إرسالها إليه في حينها .. وقد ضمها ديواني (المسارات الجديدة) ومنها:

سبعون لم تثن عزيمة فارس
يمضي شموخا رغم كل عوادي
يشدو يغني للصباح بفرحة
لا للمساء للوعة وسهاد
نفس كعاب في شباب دائم
هو نبع حب للفؤاد الصادي
هو شاعر، والشعر فيه خالد
ويمدنا بالعزم بالإرشاد
لنرى الحياة جميلة بسامة
رفاقة (بِلْخير) بالإسعاد
سبعون عاما ما فتئتَ مزمجرا
في الركب ترسل رائع الإنشاد
وشباب جيلي لا يزال مرددا
في نشوة في الغور في الإنجاد
(كل الجزيرة موطني وبلادي
من حضرموت إلى حمى بغداد)
أمجادنا في الغرب صغت عقودها
عبراً وقلت بقوة: أمجادي!
هلا افقتم، أين أنتم ؟! إنها
كالأمس تنذركم من الأحقاد

وكانت جلسة ممتعة ومفيدة .. عرفت فيها منه أكثر مما عرفت بالقراءة عنه .

لقد كان كريما معنا فقد تحدث عن ذكرياته مع الشاعر الأديب (علي أحمد باكثير) وأنه لا يزور القاهرة ولو في مهمة رسمية إلا وعرج على بيت صديقه (باكثير)، وأطلعني على ما بينهما من رسائل .. وقد أهداني صورة من خطاب أرسله له الأستاذ باكثير مؤرخ بـ ٢٤ ذي الحجة ١٣٧٧هـ الموافق ١١ تموز (يوليو) ١٩٥٨م، ومنه نتعرف على ما يدور في خلج الأستاذ باكثير من التفكير في مغادرة القاهرة والعيش بعيدا عن جوها ولو إلى حين .. ولك أن تدرك مدى ما عاناه الأستاذ علي أحمد باكثير طيلة تلك الفترة الممتدة من عام ١٩٥٨م إلى تاريخ وفاته عام ١٩٦٩م .

كما تحدث الأستاذ بلخير عن ذكرياته مع العلامة (عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف) وأنه هو الذي اقترح على العلامة ابن عبيدالله اختصار كتابه القيم (بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت)، وقد عمل العلامة (ابن عبيدالله) بهذا الاقتراح وانتهى من تأليف مختصره وأسماه (إدام القوت في بلدان حضرموت) في عام ١٣٦٥هـ والذي نشره علامة الجزيرة الأستاذ (حمد الجاسر) في مجلته (العرب) في الفترة من ١٤١١هـ إلى ١٤١٩هـ على مدى ٤٥ حلقة تحت عنوان (حضرموت بلادها وسكانها) .

وتحدث الأستاذ بلخير في هذه الجلسة الممتعة عن ذكرياته في الأندلس .. وأنه يمتلك بيتا هناك ويقيم فيه معظم شهور الصيف، وأنه لا يمل التطواف في ربوع الأندلس الإسلامية .. كما أهداني عددا من ملاحمه الرائعة الخالدة، منها ملحمة (قرطبة) التي تزيد أبياتها عن ٢٢٠ بيتا.

وكتب أستاذنا بلخير هذه الملحمة في صيف عام ١٩٧٧م بقرطبة، في فندق المسجد، (موسكيتو هوتيل).

إنها ذكريات عزيزة غالية، أشعر بعزاء وأنا أكتبها لتجد طريقها على صفحات (الأدب الإسلامي) إن شاء الله. ■